



طَلَقَةُ تَنْوِيرٍ

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

طلقة تنوير 68: كيف نقوي مناعتنا القومية في مواجهة اختراق الوعي؟

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 آذار

2020

- اختراق الوعي .. معركة غير متكافئة تحتاج إعادة تقييم/ كريمة الروبي

- مواجهة الجيل الرابع من الحروب تتطلب مقاومة من الجيل الخامس/ عبدالناصر بدروشي

- كيف تلقى المغاربة قيام الجمهورية العربية المتحدة؟/ إبراهيم حرشايوي

- قراءة في كتاب "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" لناجي علوش/ إبراهيم علوش

- الصفحة الثقافية: محطات مضيئة من تاريخ الأردن المقاوم/ طالب جميل

- قصيدة العدد: حاتم تغفل/ جميل صدقي الزهاوي (قصيدة عن ظلم العثمانيين)

- كاريكاتور العدد: أردوغان يتلقى درساً في الشمال السوري

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com

طلقة تنوير 68: كيف نقوي مناعتنا القومية في مواجهة اختراق الوعي؟

اختراق الوعي .. معركة غير متكافئة تحتاج إعادة تقييم
كريمة الروبي

ليس عالم واحد هذا الذي نعيشه بل إننا نعيش في عوالم متوازية، فالبيئة التي يحيا فيها الإنسان وظروف عمله واهتماماته تجعله يعيش في عالم مختلف عن غيره ممن يعيشون في عالم آخر، عالم الطبيب مختلف عن عالم المهني، وعالم رجل الدين مختلف عن عالم المغني، وعالم المهتم بالشأن السياسي مختلف عن عالم له أية ميول سياسية وهكذا تختلف المجالات والاهتمامات والبيئة فتختلف معه طبيعة العالم، واختراق أي عالم من قبل أفراد العالم الآخر هو أمر بالغ الصعوبة، كذلك قدرة جهة ما على اختراق جميع العوالم التي نعيشها باختلاف اهتماماتها وظروفها وبيئاتها هو أمر يبدو مستحيلاً، ولكن هذا المستحيل صار واقعاً، فنجد أن الليبراليين الجدد و"الأخوان"، وبالرغم من الاختلافات الظاهرة بينهم، إلا أنهما استطاعا اختراق جميع المجالات ونشر الأفكار والمواقف ذاتها التي تتفق تماماً مع وجهة النظر الأمريكية في قضايانا العربية، ولم يكن هذا التحالف غير المعلن قد تم بالصدفة بل إن كلا الاتجاهين (الليبرالي و"الأخواني") هما جناحا الدعم الأمريكي لاختراق المجتمع العربي، فما أن تعطي الولايات المتحدة الضوء الأخضر لنشر موقف سياسي أو فكرة بعينها حتى نجد حتى من ليست له أية ميول أو اهتمامات سياسية يتحدث عنها ويتبناها.

ذات مرة بعثت لي صديقة ليست لها أية اهتمامات أو ميول سياسية، برسالة على الـ "الواتس أب"، تطلب مني قراءة القرآن من أجل أطفال حلب الذين "يقتلهم النظام السوري"، وكانت صدمة بالنسبة لي كيف استطاعت دعايتهم أن تصل لمن أعلم جيداً أنها لم تهتم يوماً باتخاذ أي موقف سياسي تجاه أحد، فأجبتها بالرفض وكانت إجابتي صادمة بالنسبة لها فهو موقف غريب لم تكن تتوقعه من صديقتها التي دائماً تتحدث عن فلسطين وتهتم بما يجري في الوطن العربي، فبادرت بتوضيح الحقيقة التي كانت تسمعها لأول مرة، نعم لأول مرة كانت تسمع مني حقيقة الأمر وأن حلب لم تكن تحترق بل تتحرر وأن بشار ليس قاتلاً بل مدافعاً عن وطنه، وأنهيت حديثي معها وأنا في قمة غضبي من هذا الاختراق الذي طال الجميع وكذلك من غيابنا الكامل لمواجهته.

إن هذه القدرة الكبيرة على الاختراق بهذه الصورة لا يمكن أن يقوم بها أفراد أو حتى جماعات بل يحتاج الأمر لإمكانيات دول، فما نقوم به من مواجهات فكرية في إطار معركة الوعي رغم أهميتها إلا أنها مجرد محاولات فردية ليست كافية للمواجهة، فالجانب الآخر يمتلك منصات التواصل الاجتماعي والإعلام الدولي



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

ودعم دولة عظمى تسعى للسيطرة على العالم لها رجالها في كل مكان يعملون على تنفيذ خططها ونشر أفكارها بين جميع فئات المجتمع.

معركة الوعي

في الماضي القريب كانت مصر الناصرية تدرك أهمية هذه المعركة وخطورتها على الأمن القومي للوطن العربي كله لا مصر فحسب، فكان الاهتمام بالإعلام حتى صارت إذاعة "صوت العرب" هي المنصة الإعلامية الأكبر لمواجهة الاستعمار ودعم الأفكار القومية حيث كانت صوت المناضلين العرب والمدافع الأول عن القضايا العربية، فكان لها دورٌ كبيرٌ في حرب تحرير الجزائر للدرجة التي دفعت الاستعمار الفرنسي لتوزيع أجهزة راديو مجاناً لا تلتقط صوت العرب على الجزائريين للتعتيم وإبطال تأثير الإذاعة، كذلك شاركت "صوت العرب" في تحرير دول الخليج العربي ودعم استقلالها، كما تم بث العديد من الإذاعات الموجهة بجميع اللغات والتي غطت جميع الدول الإفريقية وجنوب أوروبا والأمريكيتين، ونجحت في التواصل مع الجاليات المصرية في أستراليا، ومخاطبة اليهود في عمق الأراضي المحتلة، ووصلت قوة تأثيرها إلى حد جعل رئيس وزراء الاحتلال، مناحم بيغن، حينئذ، يطالب "السادات" في أعقاب محادثات اتفاقية "كامب ديفيد" تقليص ساعات الإرسال باللغة العبرية وتخفيف حدة خطابها، وقد ساهمت تلك الإذاعات في تعزيز الحس القومي العربي، وفي دعم حركات التحرر

الوطني في إفريقيا، وربط الشعوب الإسلامية، ونتيجة تراجع دور مصر الإقليمية في المنطقة عقب وفاة الزعيم جمال عبد الناصر انتهى هذا التأثير القوي ومحاولات اختراق الآخر والتصدي لاختراق المجتمع العربي.

هذا الدور الذي لعبته مصر في مرحلة الخمسينيات والستينيات يحتاج لمن يحييه مرة أخرى، يحتاج لمن ينشئ القنوات والمنصات الإعلامية المختلفة ويسخر لها إمكانيات كبرى لمواجهة هذا الاختراق المتدفق من جانب واحد من دون أية مواجهة حقيقية سوى من بعض الأفراد المخلصين لقضايا أمتهم الذين يحاولون بأقل الإمكانيات المتاحة مواجهة هذا الكم الهائل من الأفكار والمواقف المعدة داخل المطبخ السياسي الأمريكي والمنفذة عن طريق الطابور الخامس داخل مجتمعاتنا العربية.

إن الاهتمام بالإعلام بشقيه التقليدي والجديد ليس بالأمر الثانوي الذي يمكن تأجيله أو النظر إليه باعتباره ليس من ضمن الأولويات، فقد أصبح في ظل تلك الظروف التي تعيشها الأمة من الأهمية التي تجعله يسبق حتى الاهتمام بتسليح الجيوش.

كل ما سبق يطرح أهمية المقاومة الشعبية الإعلامية المنظمة في عصر الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي، كامتدادٍ موازٍ للتيارات المقاومة على الأرض، فإذا كان عدونا قادراً على خلق الشبكات الإعلامية والاجتماعية والاقتراضية، وهو الغريب عن الشعب وعن الأرض، فإننا نحن أبناء الشعب العربي والأرض العربية أجدر بخلقها.

ولا بد من التنويه في هذا المضمار إلى أن المقاومة الإعلامية، بما تعنيه من تصدٍ للاختراقات الإعلامية والسياسية المعادية هي نصف القصة فحسب، أما النصف الآخر فهو إعادة طرح الفكر القومي والمشروع الوحدوي بأساليب إعلامية جديدة مبدعة ومبتكرة، ونحن لا نتقصنا الإمكانيات الشبابية للقيام بمثل هذا الدور، إنما ينقصنا الإعداد والتنظيم.

إن تغلغل الخطاب الليبرالي والإسلاموي في النهاية لم يتم إلا بسبب انحسار الخطاب القومي، فذلك الخطاب هو "الفيروس"، والوعي القومي هو المناعة، ولذلك فإن المرحلة تتطلب مشروعاً إعلامياً مقاوماً عربياً ممتداً يأخذ طابعاً "شبيكائياً" لا ينحصر في مجموعة ضيقة، بل يمكن استنساخه على أوسع نطاق من قبل المقاومين العربيين في كل الوطن العربي.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

مواجهة الجيل الرابع من الحروب تتطلب مقاومة من الجيل الخامس

عبدالناصر بدروشي

شغل موضوع كل من الجيلين الرابع والخامس من الحروب والتداخل بينهما العديد من الباحثين الاستراتيجيين والمختصين في الشؤون العسكرية وكتب فيه وما يزال حتى اليوم، ولم تنته الكتابات والأبحاث إلى تحديد الفروق بينهما بدقة.



ليس الهدف الرئيسي من كتابة هذا المقال الغوص في تحليل وتوصيف الأجيال الجديدة من الحروب والفروق الدقيقة بينها والتي ما تزال محل اهتمام ودراسة أهل الاختصاص من الباحثين، إنما الهدف هو نقد أداء المعسكر المناهض للإمبريالية في مواجهة العدوان، أو بمعنى أدق ضرورة تسليط الضوء على استبدال "المقاومة البدائية" بأخرى متطورة وأكثر فعالية في مواجهة حروب فائقة التطور وشديدة الفتك، كما نهدف أيضاً إلى تحفيز شباب الأمة ومثقفها ودفعهم نحو إبداع استراتيجية جديدة تؤسس لمقاومة من الجيل "الخامس" (إن صح التعبير) تجعلنا قادرين على خوض الأنماط الجديدة من الحروب التي فرضت علينا بكفاءة عالية.

تمكنت بعض الدول المستقلة من تصنيع أحدث أجيال الأسلحة العسكرية، وهو ما مكنها من ردم الهوة بينها وبين الجيوش الغربية عموماً وتحقيق تكافؤ على مستوى التسليح كقيل بردع قوات العدو، إلا أن موازين القوى بين كلا المعسكرين مختلفة لمصلحة الغرب من حيث القدرة على التحرك بحرية خلف

خطوط العدو عبر أسلحة ناعمة لا تنفع معها منظومة اس 400 ولا اس 500 ولا طائرات السوخوي، وهي أسلحة فعالة إلى درجة لا تحتاج معها إلى دعم مباشرٍ من الوحدات العسكرية التقليدية ولا إلى تحريك الطائرات أو ناقلات الجند والبارجات الحربية.

لم يحظ موضوع تطوير المقاومة لتصبح قادرة على التصدي للأجيال الجديدة من الحروب بالعناية والاهتمام الكافيين من قبل مناهضي الإمبريالية من المثقفين والباحثين، أو لعلهم انشغلوا عن ذلك بمحاولة فهم وتحليل الجيل الخامس من الحروب، ولا يقولون لنا أحدٌ بأن تحديد الداء نصف الدواء، فأغلب نخبتنا العربية "مستقلة" تنظيمياً، وهي تفاخر بذلك، وهي في أغلبها غير معنية ببناء مشروع قومي تحرري وليست جزءاً من مشروع سياسي نضالي يمتلك رؤية استراتيجية للمقاومة والتحرير، وتكتفي هذه النخب بالغوص في قراءة وتحليل الحدث ليس بغية تقديم وصفة العلاج، بل في سبيل امتلاك أكبر قدر من المعلومات بما يتيح لها الحفاظ على لقب "الباحث والمحلل الاستراتيجي" الذي سيطع على غلاف أحد إصداراته أو سيظهر في الشريط تحت صورته خلال إطلالاته الإعلامية أو بهدف تحصيل وظيفة في إحدى مراكز الدراسات أو الصحف.

على كل حال نحن نرى بأن التشخيص السليم هو خطوة مهمة نحو إيجاد الحل الذي ما يزال مفقوداً، وعندما نتحدث عن تطوير المقاومة لا نقصد تطوير ترسانتها وأسلحتها العسكرية، فهي على أهميتها (الترسانة) لا تجدي كثيراً في مواجهة الأنماط الجديدة من الحروب التي هندستها أبالسة البشر.

ورب قائل إن وصف وضع الدول المقاومة للهيمنة الإمبريالية بـ"المتخلف" مقارنة بالغرب فيه الكثير من التجني، فحلفاؤنا الروس والصينيون والإيرانيون، مثلاً، وصلوا إلى مراتب متقدمة تكنولوجياً الأمر الذي جعلهم مستقلين عن



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد



الغرب في قدرتهم على إنتاج وتصنيع حاجياتهم بأنفسهم من حيث القدرة على الردع العسكري، وتساعد النمو الاقتصادي، حتى وإن بدا متعثراً بفعل الأزمات التي تفتعلها الولايات المتحدة الأمريكية، فإن (الحلفاء) يبقون أشبه بشوكة في حلق الإمبريالية..

فعلاً، لقد بلغت بعض الدول المناهضة للهيمنة الإمبريالية مستويات متقدمة تكنولوجيا وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، ولكنها ما تزال تعاني من عريضة رعاة البقر التي تبقىهم في حيز رد الفعل والدفاع، إذ أن أحداث القرنين العشرين والحادي والعشرين أثبتت تفوق الأمريكان في القدرة على دراسة المجتمعات وإعادة هندسة سيكولوجيتها وخلق ميكانيزمات تدفع بالجمهير إلى حرق ذاتها واستهداف مناعتها المتمثلة في قوى المقاومة (دولاً وتنظيمات) وتدمير كل ما من شأنه أن يقف عائقاً في وجه تعاضم الهيمنة الأجنبية.

بكل الأحوال نحن معنيون بوضعنا كأمة عربية وليس بوضع حلفائنا المتقدم نسبياً والذي لا نجد استفادتنا منه، ولكن ليس بمقدار استفادة أمهم، ونحن كأبناء أمة عربية ضاربة في عمق التاريخ تتعرض هويتها القومية إلى محاولات إبادة نحترم أنفسنا ولا ينبغي أن نكتفي بمجرد التفاخر بقوة حلفائنا وقدرتهم على مواجهة أعدائنا بينما نعاني نحن من مرارة الحاجة والتخلف.

* المقاومة من جنس العدوان

قديمًا، وحتى تاريخ غير بعيد، كانت الحروب بين الأمم تستند أساساً إلى القوة العسكرية، لذلك اتخذت حركات التحرر الوطني والمقاومة شكلاً مسلحاً بالأساس، ولا شك في أن النضال على الجبهة الثقافية والاجتماعية وكل الأعمال غير العسكرية كانت رديفاً ومكملاً للعمل العسكري والعمليات الميدانية ويتم توظيفها لغرض التعبئة الشعبية.

كما أن حضور القطاعات غير العسكرية في الحروب ليس جديداً فمنذ القدم استعمل القادة العسكريون الدعاية والحرب النفسية ونشر الشائعات بغية التأثير على معنويات العدو، كما اعتمد أسلوب محاصرة المدن وتجويعها (الحرب الاقتصادية) بهدف تركيعها، وحتى فيما يتعلق بالحرب الجرثومية تفيد عدة روايات بقيام بعض الجيوش بإلقاء جثث الهالكين بالطاعون خلف قلاع العدو، بالاستعانة بالمنجنيق، بهدف نشر الوباء خلف خطوط العدو..

اليوم وقد دخلنا عصرًا جديدًا من الحروب فقد تغيرت المعطيات وطرأت تحولات كبرى غيرت من المفهوم الكلاسيكي للحرب، غير أننا لم نطور طرق مقاومتنا..

إذ ما تزال القوة العسكرية أساسية ولا غنى عنها، إلا أن المعارك لم تعد عسكرية بالأساس، وحتى العسكري منها لم يعد تقليدياً، حيث أن القطاعات العسكرية باتت تعول على التكنولوجيا والذكاء الصناعي أكثر فأكثر، وقد تداخلت إلى حد التمازج مع القطاعات غير العسكرية، حتى أن أعداداً من الضباط والعسكريين في الدول المتقدمة تشارك في إدارة وتنفيذ عدة عمليات وحروب، والمشاركة الفعالة لهؤلاء الضباط والجنود تتم عبر كبسة زر ووراء شاشة حاسوب صغير من دون أن تطأ أقدامهم أرض المعركة (روبوتات الاقتحام/ الطائرات بدون طيار / منصات توجيه الصواريخ / أقمار صناعية تحدد بنك الأهداف بدقة / قرصنة مواقع العدو / الاطلاع على مراسلات وأسرار العدو والهجمات السيبرانية).

حضور القطاعات غير العسكرية اليوم كعناصر محددة ومؤثرة في مسار الحرب أصبح ملفتاً ولا يقل أهمية عن الوحدات المقاتلة والأساطيل الحربية، بل هي تغني في كثير من الأحيان وبشكل كامل عن تدخل الوحدات المقاتلة والحضور الميداني للجنود.



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

مجال حضور التكنولوجيا كذلك لا يقتصر على إدارة العمليات العسكرية وإصابة الأهداف عن بعد، بل أن جوهر الجيل الجديد من الحروب هو تمكن الإمبريالية من دراسة مجتمعاتنا بدقة فائقة مكنتها من تحديد أنجع الأساليب لاستعبادنا والقضاء على أي نزع مقاومة يمكن أن تنشأ داخل قلاعنا التي لم تعد تحمينا بعد أن أصبح العدو داخلها وبيننا، وساعدهم في ذلك علم "تحليل البيانات" الذي ينطلق من قاعدة البيانات الإلكترونية الضخمة التي توفرها مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية التي لم يعد يخلو منها بيت.

كل هذا مكن قوى الهيمنة من التلاعب بمجتمعاتنا والتحكم في الشعوب عن بعد والسيطرة عليها وإعادة برمجتها سيكولوجياً وتغيير قناعاتها عبر الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي التي تعمل على توجيه الرأي العام واختراق العقول وإشعال الفتن الطائفية والعرقية...

وقد أفلح أعداؤنا في عزل الجماهير عن النخب الثورية وعملوا على الاستثمار في النفس الثوري الكامن في الجماهير بسبب مشكلات واقعتها التي حولت حياتها إلى جحيم - ارتفاع معدلات البطالة والفقر - انهيار البنى التحتية - تراجع الخدمات الصحية - تدني مستوى التعليم - انتشار الفساد...

انترعت الإمبريالية روح الثورة من عقول وأقلام وأسنة النخب المخترقة، بينما عملت على ترويض الطاقة الثورية في صفوف الشعب وتوجيهها بما لا يجعلها مضطرة لمواجهةها عبر منظمات التمويل الأجنبي وقوى "المجتمع المدني" التي تنادي بالثورة المستمرة الموجهة ضد ما تبقى من القوى الحرة والأنظمة المستقلة.

إذا اعتبرنا أن مشروع "الربيع العربي" هو أحد مخرجات الجيل الجديد من الحروب فإن تحليل حقيقة ما حصل لا يبدأ من لحظة اندلاع الأحداث الأولى لما سمي بـ"الثورة التونسية"، بل يجب الذهاب إلى أبعد من ذلك.

* في مطلع الألفية الجارية، ما الذي دفع بالجماهير العربية من المحيط إلى الخليج إلى تأجيل نقدها للنظام الوطني العراقي لحظة إعلان الأمريكان عن نيتهم لغزو العراق فخرجت بالملايين تنديداً بالعدوان الأمريكي على العراق ودعماً لأصدام حسين، على الرغم من أن الرئيس لم يكن ديموقراطياً بالمقاييس الغربية، وكان عرف عنه شدة؟ وكيف تجند الآلاف من الشباب العربي للقتال تحت إمرة "البعث" القومي رغم أنهم لم يكونوا بعثيين؟

* بعد انقضاء العشرية الأولى من الألفية، راحت الجماهير العربية ذاتها تبارك قصف طائرات حلف الناتو لليبيا وتتبنى المطلب الذي رفعته الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية المناادي برحيل النظام الوطني الليبي! وراح الشباب العربي ذاته يتجند لقتال "البعث" في سورية والجيش العربي السوري، بتسليح وغطاء غربي وبدعم صهيوني مباشر تضمن فتح مستشفياته أمامهم للعلاج! فما الذي تغير؟

* حروب الجيل الرابع وما بعدها / الربيع العربي كتطبيق لأحدث ما توصلت إليه الإمبريالية

واهم من يظن أن مشروع ما سمي بالربيع العربي قد انطلق في تونس في السابع عشر من شهر كانون الثاني / ديسمبر سنة 2010، بل أن ما حصل خلال أواخر 2010 كان ثمرة جهود وتحضيرات أنجزت على مراحل. المرحلة الأولى / إعادة برمجة المجتمع العربي عبر غزوه فكرياً وثقافياً من خلال وسائل ناعمة متعددة، منها الثقافي غير المباشر، وهو ما هو يدخل عبر بوابة اللاوعي، مثل الأفلام الهوليوودية التي تكرر مرجعيات وقيم غربية غريبة عن مجتمعنا تحل محل المرجعيات العربية، وتهتمش قيمة وحقوق الجماعة والأمة في مقابل تكريس قيمة وحقوق الفرد؛ ومنها الإعلامي الذي تسلل عبر بوابة قنوات أعدت منذ سنوات مثل قناتي "الجزيرة والعربية" اللتين حلت محلهما اليوم قناة "العربي" بعد أن فقدتا مصداقيتهما لدى المواطن العربي؛ ومنها "التعليمي"، وتم ذلك عبر هيئات أممية أشرفت على تعديل وحذف كل ما من شأنه أن يكرس العداء للصهيونية وللهيمنة الإمبريالية وكل ما من شأنه أن يكرس ثقافة الجهاد والاستشهاد من البرامج التعليمية في الدول؛ ومنها ترسيخ الميوعة في مجتمعاتنا وترذيل الذوق العام عبر وزارات الثقافة والمهرجانات والمؤسسات الإعلامية العربية... وكل ما تقدم هو على سبيل الذكر لا الحصر، وهو يؤدي إلى صناعة نمط مجتمعي جديد ساقط تم تجريده من ثوابته ومن القيم التي يمكن أن تنتج أو تحتضن حالة مقاومة.



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

المرحلة الثانية / خلق نمط جديد وجذاب للتواصل الاجتماعي الافتراضي نجح عبر سنوات من استقطاب السواد الأعظم من أطفال وشباب وكهول أمتنا، وحتى شيوخها، وأصبحت هذه المنصات الافتراضية ملاذهم الترفيهي الذي يتعارفون ويتسامرون من خلاله، فأصبح مصدر معلوماتهم، ومقر محادثاتهم ونقاشاتهم، وأهمها "فيسبوك".

ونجحت الإمبريالية بوضعنا في مأزق بعد أن أسرت شبابنا داخل فضاء تملك مفاتيحه ومن خلاله انطلقت في إعادة هندسة سيكولوجية الشباب العربي، فاجتهدت في إعادة بلورة وعيه عبر ملايين المواقع التي تعمل على ترويج مفاهيم مخترقة وقناعات مدمرة مثل نشر النعرات الطائفية والجهوية والنزعات الانفصالية...، وتملك تلك الصفحات القدرة على الوصول إلى ملايين البشر بكل سهولة، ويدس لشبابنا السم داخل مواد متنوعة وجذابة معدة بعناية وباحترازية عالية لتنتشر فيما بعد وتصل إلى رواد الفضاء الأزرق كل حسب الشريحة العمرية التي ينتمي إليها وميولاته واهتماماته ومزاجه وذوقه، وهذا غير متاح للصفحات التي تروج لقيم التحرير والوحدة العربية والمقاومة المسلحة ضد المحتل والمناهضة للصهيونية، فتم عزلنا لنشاهد كيف يختطف منا شبابنا وكيف يتم الإعداد لتقسيم ما بقي من أشلاء أمتنا الممزقة، وكل هذا أمام أعيننا (نون الجماعة تعود على المناضلين الذين ظلوا محافظين على نقاء طرحهم..) من دون أن نقدر على إعاقة تقدم العدو.

المرحلة الثالثة / اشتغل عدد من الباحثين والأكاديميين على وضع أسس نظرية جديدة للحرب تحت عنوان "حرب اللاعنف"، وعملوا على تدريب مجموعات شبابية من أغلب الأقطار العربية على أساليب تحريض الشارع من خلال الفضاء الافتراضي ومن ثم تدريبهم على تقنيات قيادة حركات احتجاجية وتأجيج حماس المتظاهرين، وصارت واحدة من أساليبهم المتبعة استفزاز رجال الأمن واستدراجهم إلى مربع العنف حتى تسيل الدماء من دون مقاومة من المحتجين فيحظوا بتعاطف شعبي ودولي لاضفاء مشروعية ومظلومية على الحراك السلمي الذي بات بحاجة إلى "حماية دولية".

أكاديميات ومراكز تدريب تم تأسيسها بهدف تدريب الشباب العرب وآخرين من جميع أنحاء العالم على تقنيات الجيل الخامس من الحروب، سنكتفي بذكر نموذجين هما الأشهر والأكثر تأثيراً:

- منظمة أوتبور التي تأسست في صربيا سنة 1998 من قبل مجموعة من الطلبة، وحظيت بدعم مادي سخي من الملياردير اليهودي جورج سوروس، وبفضل الدعم الكبير الذي تم تقديمه لأوتبور، وبفضل القصف الأمريكي ودول الناتو، تم إسقاط النظام الصربي الذي يقوده «سلوبودان ميلوسيفيتش».

بعد بضع سنوات تم إرسال خريجي "أوتبور" إلى جورجيا حيث قاموا بتدريب الشباب على ما تعلموه، وانطلقت شرارة ما أسماه بـ "الثورة الوردية" متبعة تعليمات المشرفين الصربيين ونجحوا في مرادهم، فالهدف الذي يسعون إليه هو إسقاط الحكومات والدول بأقصى سرعة ممكنة.

اعترف ناشطون مصريون من حركة "6 أبريل" في عدة مناسبات وعلى الملأ بأنهم تلقوا تدريبات من منظمة أوتبور، ويفخر "سيرجيو بوبوفيتش" رئيس "أوتبور" بأن الحركة نجحت في تدريب نشطاء سياسيين من 37 دولة للعمل على إسقاط حكوماتهم، كما في جورجيا وأوكرانيا والمالديف وليبيا وتونس ومصر وسورية، وقال بأن القائمة مرشحة للزيادة. ويقول رئيس المنظمة بأنه من الخطأ الاعتقاد بأن ثورة "عفوية" قادرة على الإطاحة بنظام حكم خلال 19 يوماً، بل هو أمرٌ معدّل له منذ زمن طويل. (1)

- أكاديمية التغيير (2) والتي تقدم نفسها عبر موقعها بهذه العبارات (3):

"مؤسسة علمية بحثية عربية الهوى عالمية النشاط، تهتم بتزويد العقل بأدوات الفعل الاجتماعي والسياسي ليكون قادراً على ممارسة التغيير والتحول الحضاري. تأسست في لندن في مارس عام 2006. ثم تأسس فرع الدوحة في 6 سبتمبر 2009 (جُمد نشاطه في يونيو 2010، وأغلق في يونيو 2012)، وكان قد تأسس فرع فيينا في 1 مايو 2010...



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

...وللأكاديمية الفخر أن تعمل في تطوير صناعة علوم التغيير، وأن تكون من أوائل من يكتب بالعربية في هذه المجالات، فهي مؤسسة علمية بحثية تسهم في التأسيس لنظريات ورؤى جديدة عن طبيعة التحولات واستشراف المستقبل. وقد أدى هذا الإدراك لأهمية إدارة المستقبل إلى تحالفات استراتيجية بين الأكاديمية ومؤسسات عالمية، مما سيؤدي إلى أن تصبح هذه العلوم والنظريات هي جزء أصيل من علوم المستقبل. وتعتمد الأكاديمية نموذج المؤسسة العملية المتعلمة في التطوير، حيث تخضع نظرياتها للتجربة وتستفيد من التقييمات الناتجة، فقد نوقشت الأفكار والنظريات مع أهل التخصص من أساتذة جامعات عربية وعالمية، والنشطاء السياسيين في أرض الواقع، والخبراء في نفس مجال البحث.

لقد أبدع أجدادنا أساليب غير تقليدية خلال مقاومتهم للاحتلال الأجنبي، غير أن قوى الهيمنة الأجنبية عملت على تطوير أساليبها وانتقلت بنظرية الحرب إلى مستويات مرعبة نعلم منها القليل ونجهل عنها الكثير. إن عملية تغيير ملامح المجتمع في جوهرها تهدف إلى كسر حاجز العداة بين المجتمعات المستهدفة و القوى الطامحة إلى الهيمنة عليها واسقاط دفاعات الأمم أو إضعاف فعاليتها، ويبدأ ذلك بعزل القوى المقاومة (دول - حركات - مثقفين...) عن بيئتها الاجتماعية تدريجياً مما يجعل المناضلين يعيشون حالة من الغربة مع مجتمعاتهم. إن مقاومة غزو الجيوش أيسر من مقاومة غزو الأفكار، ومواجهة حرب الجيوش التقليدية أقل خطراً من مواجهة حرب العقول التي فرضت علينا، فلا مفر أمامنا سوى أن نشغل عقولنا بطاقتها القصوى حتى نخرج من دائرة ردة الفعل.

من المؤكد أن مقاومة الجيل الخامس من الحروب لن تقدر عليه أحزاب قومية أو يسارية تكفي بأن يكون حد سقفاها بضعة نواب في البرلمان أو وزير هنا أو هناك، ومن المؤكد أيضاً أن إبداع مقاومة من الجيل الخامس لن يضطلع بها إلا المحاسبون المهرة والضالعون في رياضيات الحلم..

ونصيحة لإخواننا في الدول المستقلة: مخطئ من يظن أنه قادر على مواجهة هذه الحروب الشيطانية بأدوات بدائية أو عبر الإنكفاء داخل أسواره، فهذه الحرب مفتوحة، وعدوكم يقيم معكم داخل أسواركم وأسوارنا، وانكفاؤنا والتزامنا بحدودنا هو عون له على أن يفتك بنا منفردين، وقد وجدت سورية نفسها في مواجهة عسكرية مباشرة بينها وبين أبناء بيئتها العربية التي كان يفترض أن تكون حاضنة لمشروعها وخزانة الاحتياطي، ولا يتعلق الأمر بأن تتبنى سورية مشروعاً قومياً أو لا تتبناه، فسيجد الأحرار أنفسهم باستمرار في مواجهة حرب إعلامية وثقافية شرسة تهدف إلى عزلهم عن محيطهم ومجالهم الحيوي تمهيداً للقضاء عليهم ما لم يبادروا..

روابط :

<https://www.youtube.com/watch?v=TWkcgN5PIEo> / 1

<http://aoc.fm/wp/> / 2

http://aoc.fm/wp/?page_id=226 / 3

كيف تلقى المغاربة قيام الجمهورية العربية المتحدة؟ إبراهيم حرشاي

يعتبر قيام الجمهورية العربية المتحدة إثر توقيع ميثاق الوحدة المصرية- السورية سنة 1958 من أبرز المحطات والإنجازات التي شهدتها تاريخ التجربة القومية العربية إبان الحقبة الناصرية. ويمكن اعتبار هذه التجربة أسمى تعبير عن مبدأ الوحدة العربية بحكم تطورهما من فكرة سياسية تسعى إلى توحيد الأقطار العربية إلى مشروع تم تحقيقه على أرض الواقع. ويجدر تقييم أي تجربة قومية ووحديوية من هذا الحجم انطلاقاً من صداها وتأثيرها على محيطها، علماً بأن التجربة الناصرية بدأت تأخذ منحى قومياً عربياً بعد العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر سنة 1956، أي في منتصف الخمسينيات إبان اشتعال الجبهة المغاربية مع اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954 من جهة، ونيل كل من المغرب وتونس استقلالاً شكلياً سنة 1956 من جهة أخرى، وهو الأمر الذي جعل فرنسا وإسبانيا تبسطان سيطرتهم على مصالحيهما الجيو- استراتيجية وسحقهما لما تبقى من مقاومة رافضة للاستقلال الشكلي الممنوح. فالمواقف في المغرب العربي عموماً، وفي المغرب خصوصاً، كانت تحكمها اعتبارات مختلفة من بينها السياق السياسي لكل فطر والتوجه الإيديولوجي لتيارات الحركة الوطنية.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد



ففي المغرب، كان لدى حزب الاستقلال المتزعم للمشهد السياسي المغربي عقب الاستقلال موقفاً ملتبساً ومتذبذباً إزاء الوحدة المصرية- السورية رغم أنه حزب ذو مرجعية عروبية - إسلامية واضحة المعالم. فعلى مستوى هيئاته القيادية لم يصدر الحزب موقفاً محدداً من الوحدة المصرية - السورية. وبخصوص المواقف التي سُجلت لقادة هذا الحزب من موضوعنا هذا، يلاحظ أنّ أحد رموز الجناح اليساري للاستقلاليين عبد الرحيم بوعبيد، أبدى رأياً مشككاً في إمكانية نجاح تجربة الجمهورية العربية المتحدة. ففي حديث أدلى به لإحدى الصحف عبر عن الموقف التالي: "البعض منا في حزب الاستقلال كان يعبر عن شكوكه وارتياحه بشأن حظوظ نجاح هذا الاندماج الذي تقرر في غمرة الحماس والانديفاع".

أما علال الفاسي، رئيس الحزب وممثل الجناح التقليدي والمحافظة فكان خلافه مع الناصرية والطرح الاشتراكي متكناً على توجهه الإيديولوجي الذي اصطبغ بالتضامن الإسلامي، متجاوزاً بذلك البعد القومي العربي. كما ينبغي أن لا نغفل تشبّهه بالنظام السلطاني المغربي وكيان الدولة المغربية بصفتها دولة ذات جذور تاريخية عكس معظم الأقطار العربية التي رُسمت حدودها بقلم ومسطرة الاستعمار الأوروبي، على الرغم من أن الاستعمار فصل عنها أراضٍ كثيرة، لذا كان الفاسي يعتبر المد الناصري وأمثاله نموذجاً خطراً على الأنظمة التقليدية بحكم ما

يحمله هذا الفكر من مبادئ جمهورية واشتراكية. ورغم ذلك، سُجلت للفاسي مواقف شكلية رحبت بالوحدة المصرية- السورية كموقفه الموثق في كتابه "دفاعاً عن وحدة البلاد"، حيث صرح أن الوحدة كانت "نتيجة منطقية للمجهودات التي بذلها الشعب السوري بصفة خاصة ورجال الثورة في مصر، وأنها صفحة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط تخرج بفكرة العروبة من طور العاطفة إلى طور الواقع". وفي المقابل، فقد طفى موقفه الإيديولوجي على السطح في نص قدمه للمؤتمر السادس لحزب الاستقلال انتقد فيه الاتجاهات الوحودية وما اعتبره تهميشاً للإسلام كعنصر موجد للعرب وللعالم الإسلامي المؤيد لهم. يضاف إلى ذلك تأييده للاتحاد العراقي- الأردني، الذي أنشئ كرد فعل لحلف بغداد لمعاكسة نفوذ ومنع توسع المشروع الوحودي للجمهورية العربية المتحدة.

وفي الوقت ذاته يلاحظ أنّ "حزب الشورى والاستقلال"، المصنف كحزب ذي نفحة ليبرالية، وقف موقفاً متحمساً للوحدة المصرية- السورية. ويتضح ذلك من مواقف الإعجاب والتقدير لأمين عام الحزب، محمد حسن الوزاني، الذي حيا مراراً في مناسبات عديدة الخطوات الاستقلالية المصرية كتأميم قناة السويس وتحرير الاقتصاد الوطني والصمود أمام العدوان الثلاثي. يضاف إلى هذا الموقف الحملة الكثيفة التي خاضها هذا الحزب للضغط على الحكومة المغربية للاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة والانضمام إلى جامعة الدول العربية. وقد سلط الوزاني الضوء أمام مؤتمر حزبه سنة 1959 على دوافع الحزب المؤيدة للجمهورية العربية المتحدة: "...وباسم القومية العربية كذلك عارضنا سياسة التبعية والانحياز إلى الكتلة الغربية الاستعمارية، وباسم القومية العربية أيضاً ناضلنا في سبيل انضمام المغرب إلى جامعة الدول العربية غير عابئين بالتعلات والأعداء الرسمية الواهية، وأضيف أنه باسم القومية العربية أيدنا كفاح العرب في سبيل استكمال حريتهم، وسيادتهم واستقلالهم، ووحدتهم. وأخيراً، باسم القومية العربية طالبنا الحكومة المغربية بالتعجيل بالاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، ثم بحكومة الثورة العراقية الطافرة، وبحكومة الجزائر المجاهدة". وقد احتفظ حزب الشورى والاستقلال بهذا الموقف الإيجابي من الوحدة المصرية- السورية طيلة هذه التجربة التي استمرت مدة ثلاث سنوات.

أما بالنسبة للتوجه اليساري في المغرب فقد اتخذ الحزب الشيوعي المغربي بدوره موقفاً إيجابياً إزاء الجمهورية العربية المتحدة عكس كثير من الأحزاب الشيوعية العربية التي عارضت الناصرية والوحدة العربية بدوافع إيديولوجية اعتُبرت فيها الوحدة القومية نقيض الطرح الشيوعي الداعي إلى الصراع الطبقي والأممية.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد



وقد وصف الحزب الشيوعي المغربي الوحدة بـ«الحدث التاريخي الكبير» القادر على «القضاء نهائياً على السيطرة الإمبريالية، العائق في وجه المسيرة العربية نحو التقدم الاجتماعي والرفاه والأخوة والسلام...». ولم يتردد هذا الحزب، ككثير من التنظيمات والفعاليات السياسية آنذاك، في دعوة الأقطار المغاربية للالتحاق بقطار الوحدة حيث قام في هذا الصدد بتأسيس مجلس استشاري لشمال إفريقيا.

أما خارج الإطار الحزبي والمشهد السياسي الداخلي في المغرب، فينبغي الالتفات إلى موقف زعيم المقاومة المغربية والمغاربية عبد الكريم الخطابي الراض لـ«اتفاقية إيكس لي بان» التي نال المغرب استقلاله بموجبها.

فمواقفه من الوحدة العربية عموماً، والوحدة المصرية-السورية خصوصاً، كانت نابعة من إيمانه بمبدأ الوحدة أولاً، وضرورتها كخيار استراتيجي- تحرري لمواجهة خط التسوية والتجزئة في المغرب العربي ثانياً. وانطلاقاً من هذا الموقف تفاعل عبد الكريم الخطابي إيجابياً مع قيام الجمهورية العربية المتحدة وحاول ربط مصيرها الوجودي بالانتفاضات التي شهدتها منطقة المغرب العربي عقب استقلال تونس والمغرب، بما في ذلك

الثورة الجزائرية التي كانت قد دخلت وقتذاك عامها الرابع. وقد حذر الخطابي في هذا الصدد من الدوافع خلف فكرة إنشاء «اتحاد المغرب العربي»، وعقد مؤتمر طنجة المغربي الذي دعا له علال الفاسي سنة 1958. فالخطابي كان مثل كثير من القوميين في المشرق العربي ينظر بعين الريبة إلى زعيم حزب الاستقلال المغربي علال الفاسي، واعتبر هو الآخر مبادرته لعقد مؤتمر طنجة محاولة أخرى لمعاكسة الوحدة المصرية- السورية.

في المحصلة، ولإكمال الصورة المغاربية إزاء المشروع القومي العربي الناصري، يجدر النظر باختصار للساحتين الجزائرية والتونسية اللتين لم يختلف مشهدهما السياسي كثيراً عن المغرب، حيث أفرزت التيارات السياسية في كلا البلدين مؤيدي ومعارضين للوحدة العربية. ففي الجزائر برز خلاف إيديولوجي بين قادة الثورة على هذا الأساس، وأدى ذلك إلى ظهور طرف مدين للقومية العربية ولمصر سياسياً وعسكرياً، وهو التيار الذي أصبح أحمد بن بلة أحد أيقوناته. أما الطرف الآخر، المتمثل في شخصيات مثل عبان رمضان وفرحات عباس، فانسجم بمنطلقات فرانكفونية وتمكن من وضع بصمته على مسيرة الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام المنعقد في سنة 1956. وينطبق هذا الخيار على الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة المعروف بميوله الفرنكوفونية، إذ لم يقتنع هذا الأخير بفكرة الوحدة العربية مما جعله يبتعد عن هذه الفكرة وعن المشرق لترويج فكرة الوحدة المغاربية مع حليفه علال الفاسي. وظلت مواقف بورقيبة معادية للمد القومي؛ فعلى سبيل المثال نجد تونس البورقيبية تقطع علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة شهر أكتوبر 1958، لما شعرت هي الأخرى بخطورة الوضع بصفتها دولة تابعة للنفوذ الفرنسي. بالمقابل، وجدت معارضة تونسية مناهضة للتوجه التسويي للتيار البورقيبيني في تونس، وقد ساهم وجود الجناح الراديكالي للحركة الوطنية التونسية بجوار الأمير الخطابي وتطابق أفكارها مع أفكاره في رفع حدة التوتر بين الجانبين. وكان من بين من تزعموا التيار التونسي كل من صالح بن يوسف وعز الدين عزوز والطاهر لسود وغيرهم من القادة الجذريين.

يمكن الاستخلاص من كل ما ذكر أعلاه أنّ التباين بين مؤيدي ومعارضين الوحدة المصرية- السورية كان عابراً للأقطار المغاربية ولم يكن منحصراً في قطر واحد، كما يمكن الاستخلاص أن الموقف من الوحدة حكمته الاعتبارات الإيديولوجية التي كانت قد نضجت بين الأطراف ذاتها في اللحظات الأولى بعد تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة سنة 1948، أي قبل عشر سنوات من قيام الجمهورية العربية المتحدة حيث انقسم العمل المغربي المشترك بين توجه قطري- برغماتي وتوجه جذري ووجودي تحالف لاحقاً مع مصر الناصرية.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

قراءة في كتاب "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" لناجي علوش

إبراهيم علوش



"حوار حول الأمة والقومية والوحدة" هو أحد عناوين كتب المفكر والقيادي القومي العربي الراحل ناجي علوش (1935-2012)، وقد صدر ذلك الكتاب عن دار الطليعة في بيروت عام 1980، وكان قد صدر قبلها كأحد منشورات "حركة التحرير الشعبية العربية" (-1978)، التنظيم القومي اليساري العابر للأقطار العربية (1) الذي كان ناجي علوش مؤسسه وأمينه العام. ويمثل "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" حلقة في سلسلة حوارات جرت بين نهاية عام 1978 وبداية عام 1979 نتجت عنها كتبٌ أخرى مثل "حوار حول قضايا الثورة العربية" و"تركيب الطبقات والصراع الطبقي في الوطن العربي" (2) مثلت تعميقاً للخط القومي اليساري الذي تبنته "حركة التحرير الشعبية العربية". وكانت تلك السلسلة تبدأ عادةً بمحاضرة مرتجلة حول الموضوع رهن البحث من قِبَل ناجي علوش يليها حوارٌ مع كوادِر من داخل الحركة، ومن خارجها أيضاً في بعض الأحيان. ولم تكشف أيُّ من تلك الكتب عن مكان انعقاد مثل تلك الحوارات الثرية.

كتاب "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" كان من الكتب المفقودة من مكتبة ناجي علوش، وبالتالي لم يتم تحميله مع كتبه الأخرى المتوفرة على موقع "الصوت العربي الحر"، حتى لفت نظري صديق إلى أن مجموعة "المكتبة التقدمية" حملته مشكورةً على موقعها على وسائل التواصل الاجتماعي، وعليه يستطيع الآن أن يجده من يرغب على الرابط التالي:

<http://www.freearabvoice.org/wp-content/uploads/2020/02/حوار-حول-الأمة-والقومية-والوحدة-1.pdf>

خطاب ناجي علوش السهل الممتنع عامةً، والسلس على تماسكه، بالكاد يخفي مدى تشعب القضايا النظرية وتعقدها التي يعالجها كتاب "حوار حول الأمة والقومية والوحدة"، والأهم أنه كتاب ما يزال خطابه معاصراً بعد أربعين عاماً من نشره لأنه يتناول قضايا معاصرة لم تفنّها السنون والعقود، بل زادت تاججاً واشتعالاً في ظل الهجمة الشعواء على الهوية القومية العربية ومكوناتها لا سيما في ظل ما يسمى "الربيع العربي" الذي أسفر عن انقراضٍ عامٍ على كل ما هو عربي أو عروبي أو قومي التوجه.

قبل أربعين عاماً ونيف، بدأ ناجي علوش الصفحات الأولى من "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" بسوق الأدلة التاريخية على قَدَم الأمة العربية الذي يبلغ عمرها آلاف الأعوام، ولعل أمةً يمثل تلك العراقلة لا يفترض أن يحتاج وجودها إلى دليل، لا سيما أن موجة التشكيك بالعروبة لم تكن قد كشفت إلا عن نزرٍ يسيرٍ من بشاعتها مع نهاية سبعينيات القرن العشرين، لكن ناجي علوش كان قد تلمّس خطورة تلك النزعة ومعالمها فراح يفككها رابطاً ما بين العروبة المعاصرة والعروبة القديمة السابقة للإسلام، لغويّاً واصطلاحياً وتاريخياً وجغرافياً، مكرساً عروبة الأشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين القدامى والبربر، ولم تكن مشاريع "الشرق أوسطية" الساعية لتفكيك الهوية العربية ومنابعها إلى جذورٍ متباينة متخلية قد تجاوزت بضع نخبٍ منبئةٍ عن الواقع الشعبي العربي، أي لم تكن سرديّة التفكيك قد تحولت إلى تاريخٍ مزورٍ بآثرٍ رجعيٍ بعد، ومع ذلك فإن ناجي علوش سعى لاستباقها بدحضٍ عقليٍّ متزنٍ في المخاطبة وحيويٍّ متدفقٍ في المقاربة، مكرراً في الآن عينه، بسعة صدره المعهودة، أنه لا يقدم فتاوى نهائيةً بل يطرح قضايا للنقاش حول مفهوم الأمة، هي في الواقع من "المقدسات" لدى بعض المتمركسين والليبراليين والمستشرقين، وبالتالي فإن مجرد طرحها للنقاش هي قصة بحد ذاتها.



عند استعراض نظريات الأمة المختلفة يبدأ ناجي علوش بالتطرق للنظرية العرقية في الأمة، وأبرزها النظرية النازية المستندة لمقولة "الصفاء العرقي" الجوفاء، فيتجاوزها بسرعة لأنها نظرية غير علمية إذ لا توجد أمة صافية عرقياً، أو أمة استطاعت الابتعاد عن الاختلاط، ولا توجد أمة "نتاج عائلة قبييلة واحدة ظلت صافية الدم، ثم تطورت وأصبحت أمة" (ص. 13). ونضيف هنا أنه لا يوجد مفكر قومي عربي رئيسي عدّ العرق أحد عوامل القومية، منذ العصر العباسي حتى القرن العشرين (3)، فليس صحيحاً البتة ما يزعمه بعض الإسلاميين واليساريين من أن القوميين العرب يستندون لمفاهيم عنصرية، فيما تنطبق مثل تلك التهمة على جماعة "القومية البيضاء" في الدول الغربية ومن ينحو منحاهم.

المدرسة الثانية في القومية التي تناولها ناجي علوش بالنقد هي المدرسة الجغرافية التي ترى الأرض أساس تكوين الأمم، والتي يُعد أنطون سعادة أبرز ممثليها في الوطن العربي، إذ بنى على أساسها نظريته في "الأمة السورية". ويرى ناجي علوش أن الأرض أحد عوامل تكون الأمم، إذ أن أي أمة بحاجة إلى رقعة أرض تستقر عليها، ولكن الأرض لا تخلق الأمم بحد ذاتها، مع العلم أن الفصل جغرافياً بين البادية السورية-العراقية وشبه الجزيرة العربية غير علمي وغير واقعي، إذ بناه سعادة على "خطر رمل" في الصحراء "لم نجده حتى الآن ولم نعرفه" (ص. 12).

يضيف ناجي علوش: "هناك أمم كالروس الذين تجاوزوا جبال الأورال شرقاً وغرباً، وجبال الأورال مانع طبيعي، وعاشوا على جانبيه. وهناك الشعوب التي تعيش في الأراضي الواسعة: السويد - هولندا - الدنمارك إلخ.. وهي شعوب أيضاً مختلفة، وليست شعباً واحداً، وإن كانت الأرض وحدة جغرافية واحدة.. بالتالي الأرض لا تكون أمة، الأرض عامل من عوامل تكوين الأمة باعتبارها مكاناً، يعني باعتبارها مكاناً يعيش عليه الناس على بقعة واحدة من الأرض... فالأرض الواحدة يمكن أن تعيش عليها شعوب مختلفة، وهي ليست عاملاً ينتج شعوباً. هي عاملٌ ضروري لتكوين جماعة مستقرة من الناس، ولهذا السبب كانت الغزوات تتجاوز الحدود الطبيعية، وكانت تجعل أمة من الأمم تتمدد على حساب أمة أخرى، وتجعل أمة تتقلص جغرافياً" (ص: 13-14).

كذلك يقول ناجي علوش تأكيداً على هذه النقطة ضمن الوعاء الحضاري العربي الواحد من المغرب حتى البحرين: "لم يحدث أن قام حكمٌ في التاريخ ضمن حدود سورية الطبيعية فحسب. كل الذين حكموا سورية أو العراق كانوا يمدون سلطتهم إلى فلسطين والجزيرة العربية وسيناء ومصر والمغرب العربي" (ص: 52-53)، والعكس بالعكس أيضاً، "وعندما أقام الفاطميون دولة في المغرب العربي امتدوا إلى مصر، ثم إلى سورية، ولم يستطيعوا أن يأخذوا العراق. والقرامطة الذين بدأوا من الأحساء والبحرين وصلوا دمشق، والقاهرة، ووصلوا مكة، ثم تراجعوا" (ص 53) إلخ...

أثرنا اقتباس هذا المقتطف المطول حول الأرض كعامل من عوامل تكوين الأمم لأنه يمثل رؤية مهمة في السجل مع المدرسة الجغرافية في القومية من جهة، ولأنه يثبت أهمية الأرض كـ "وعاء جغرافي" لاستقرار الأمة فحسب، من دون أن يقلل ذلك من أهميتها كعامل، كما يفعل بعض الكتاب القوميين، ومن دون أن يمنحها قدسية خاصة تميزها عن عوامل تشكل القومية الأخرى، ومع ذلك فإن ناجي علوش يرى بأن الوطن العربي يتمتع بحدود جغرافية طبيعية (4) لا تقل ولا تزيد من وجودها ومن إمكانية اختراقها أو التمدد عليها من قبل أمم أخرى، كما أنها لا تلغي وجود مناطق مثل الصومال وأرتيريا وجنوب السودان تمثل "مناطق اختلاط" بين العرب والأفارقة:

"إن للوطن العربي حدوداً جغرافية، وهذه الحدود الجغرافية "تميزها" فواصل طبيعية... لكن الذي يحدث في التاريخ يتجاوز في الكثير من الأحيان حتى الفواصل الطبيعية... ولذلك فهناك حدود طبيعية للوطن العربي، وهناك حدود اختلاط. لقد تجاوزت الموجات البشرية الحدود الطبيعية، واختلطت مع شعوب وقبائل أخرى، لينشأ ما نراه في جنوب السودان من خليط لا يبدو واضح الملامح العربية وليس إفريقياً صرفاً. وهذا أيضاً واضح في القرن الإفريقي، في أرتيريا والصومال. وفي الصومال هنالك قبائل عربية، تلمس أنها قبائل عربية. وهنالك إفريقيون متعربون، وهنالك خليط لا تستطيع أن تحدد هويته. وكذلك في أرتيريا" (ص. 50).

الحقيقة أن من يتوقف عن القراءة هنا ربما يظن خطأ أن "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" هو كتاب حول نظريات القومية والأمة بعام، ولكنه في الحقيقة كتابٌ تركّز كثيراً من صفحاته على مساجلة التيار اليساري المشكك بوجود أمة عربية، من خلال مناقشة أطروحة ستالين (1913) في تعريف الأمة التي تربطها بالعامل الاقتصادي



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد



أساساً، لا سيما قيام سوق مشتركة تؤسسها البرجوازية الصاعدة على كتف الثورة الصناعية، وهو ما خلق وهماً نظرياً لدى كثيرين بأن الأمم التي لم تدخل عصر الثورة الصناعية هي "أمم في طور التكوين" في أحسن الأحوال، ليصبح وجود الأمم حكراً على الأمم المتقدمة صناعياً، أما الأمم الراقية في التاريخ مثل العرب والصينيين والفيتناميين والفرس واليونانيين، فإنها تشطب تلقائياً من سجل الأمم بحسب هذه النظرية، وهو ما يمثل قصوراً مركزياً أوروبياً غربياً في قراءة تاريخ الأمم، كما يمثل نظرة اقتصادية ضيقة لتاريخ العالم تربط نشوء الأمم حصرياً بنشوء الرأسمالية في أوروبا الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على الرغم من أن الأمم القديمة عرفت دولاً مركزية ومدناً كبرى وعواصم وحياتاً اقتصاديةً مشتركةً (بسمات ما قبل رأسمالية) قبل دول أوروبا الغربية بأمدٍ طويل، وقد تجلى ذلك بأبهى صورته لدى العرب في العصر العباسي الأول، كما تجلى في العصر الأموي، وإلى حد ما في العصر الفاطمي، وقبل الإسلام تجلى في دول البابليين والآشوريين والفراعنة وفي الشبكة التجارية الواسعة للفينيقيين، وكلهم عربٌ قدامى، كما أشار ناجي علوش.

بجميع الأحوال، من المهم وضع كتاب "الماركسية والمسألة القومية" لسنتالين في سياقه التاريخي المحدد الذي نُشر فيه، فقد كان كتاباً وضع بقرار حزبي بلشفي للرد على "البوند" (اتحاد العمال اليهود) أساساً، وعلى دعوتهم لتفكيك التمثيل الحزبي والعمالي في روسيا القيصرية على أساس "الحكم الذاتي الثقافي"، فقد كانت أطروحة سنتالين موجهة بالأساس ضد مقولة "القومية اليهودية"، ضمن أجندة حزبية ترتبط بظروف العمل السياسي البلشفي في روسيا في العقد الثاني من القرن العشرين، ولذلك فإن إسقاطها عشوائياً كنظرية "عالمية-تاريخية" حول نشوء الأمم يشكل نموذجاً للتفكير الميكانيكي غير المبدع الذي أدى بالاتحاد السوفياتي إلى الهاوية، أما تحويل نظرية وضعت لنفي وجود "القومية اليهودية" إلى "نظرية عامة" للتشكيك بوجود الأمة العربية فيشكل نوعاً من سخرية القدر، حتى لا نقول "مؤامرة صهيونية"! وللاطلاع على مراجعة نقدية مفصلة لكتاب سنتالين "الماركسية والمسألة القومية" ودواعي وضعه والظروف التي ولد فيها، الرجاء الذهاب للعدد 23 من مجلة "طلقة تنوير" (5).

يضيف ناجي علوش على هذا الصعيد: "إن الذين يحاولون أن يحصروا الأمم في العصر البرجوازي يريدون أن يعطوها شكلاً محدداً فقط، وهو شكل يتنافى مع غنى التجربة التاريخية الطويلة. فهل هذه الظاهرة، أو هذه الصيرورة التاريخية، قابلة لأن تعكس، أي لأن تتحلل، لأن تضمحل (كما جرى مع أمة الروم مثلاً)؟ إنه سؤالٌ جديرٌ بالإجابة. لقد شهد التاريخ ظهور أمم وبروز أمم. وشهد انحلال وسقوط أمم أخرى. ولم يعمل الباحثون على تحديد الأسباب التي أدت مثلاً إلى أن تتحلل أمة وتتكون منها أممٌ جديدة... وتاريخ أوروبا شهد مثل هذه الحالة. إن الذين كانوا يتكلمون اللغة اللاتينية انبثقت منهم شعوبٌ متعددة أصل لغاتها لاتينية، ولكنها تكوّن أمماً حديثة كالإيطاليين والإسبان مثلاً" (ص. 78).

البعد الآخر الذي احتل موقعاً مهماً في كتاب "حوار حول الأمة والقومية والوحدة" هو العلاقة بين القومية والوحدة، فعدم وجود وحدة سياسية في أمة من الأمم، وتفكك منظومتها السياسية إلى دويلات وإقطاعات وإمارات، لا يعني نفي حقيقة وجودها، كما أن تحقيق الوحدة السياسية لأمة ما لا يعني خلقها من العدم. لكن ناجي علوش أشار، في العام 1979، إلى أن هناك من يتحدث "عن العرب باعتبارهم شيعة وسنة مثلاً، باعتبارهم مسيحيين ومسلمين، وباعتبارهم موارنة وأرثوذكس. وهم يحاولون أن يخلطوا بين ما له علاقة بالقومية وما له علاقة بالدين، وذلك للتشويش. ذلك أن اختلاف المذاهب لا يمكن أن يكون مانعاً لوجود الأمم" (ص: 22-21).



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

من المهم، في هذا السياق، تحديد طبيعة علاقة الإسلام بالعروبة من وجهة نظر ناجي علوش، «لأن الأديان والمذاهب لم تكن في يومٍ من الأيام عاملاً من عوامل تكوين الأمة باعتبارها أدياناً أو مذاهب» (ص. 22)، لكنها تمارس تأثيرها الإيجابي أو السلبي على الأمة من خلال دورها الدنيوي في: أ - الثقافة القومية، و ب - الوحدة السياسية للأمة.

الثقافة القومية، إلى جانب اللغة المشتركة والتاريخ المشترك والرقعة الجغرافية المشتركة، من عوامل تكوين الأمة طبعاً، وهي تنشأ وتتبلور قبل الوحدة السياسية للأمة بأمَدٍ طويل، لكن الأديان والمذاهب تؤثر في الثقافة القومية، فالكاثوليكية في القرون الوسطى كانت كابحاً لتبلور القوميات في أوروبا الغربية لأنها اتخذت طابعاً لاتينياً عابراً للقوميات في الصلوات وفي إصرارها على تحريم ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية، وفي تنظيمها الكنسي العابر للقوميات المدار من المركز في الفاتيكان، وفي جعل اللاتينية لغة اللاهوت والنخب والسياسة، فهي لم تُصَف للثقافات القومية في أوروبا شيئاً يذكر. كما أنها مثلت عائقاً كبيراً أمام الوحدة السياسية للأمم الأوروبية الغربية بتحالفها مع الإقطاعيات والإمارات، وبالغطاء «المقدس» الذي أضفته على منظومة التفكك الإقطاعي (ص: 37-38).

«بينما نزل القرآن بالعربية، وجاء في كثير من آياته أنه قرآنٌ عربي... وإذا كان القرآن عربياً، فنتفسير القرآن لا بد أن يكون باللغة العربية أيضاً، وقد أدى ذلك إلى ارتباط كل التراث الإسلامي باللغة العربية وبالثقافة العربية، وأدى ذلك إلى أن تخرج ملايين الكتب باللغة العربية، وإلى أن يتعلم الكثير من المسلمين من غير العرب اللغة العربية، لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لفهم الدين الإسلامي، ولمعرفة الثقافة الإسلامية. بالتالي نستطيع أن نقول إن الإسلام أغنى الثقافة العربية إغناءً لم يفعله أي دين مع أية ثقافة أخرى» (ص. 38).

لكن هل يعني ذلك أن الإسلام هو أحد عوامل تشكل الأمة العربية؟ يرد ناجي علوش بالنفي طبعاً، مؤكداً على أن الإسلام عابراً للقوميات، فهو لكل المسلمين عرباً وغير عرب، فلا رجال الدين يعدونه ولا التحليل العلمي يعد الإسلام عاملاً من عوامل تشكل الأمة العربية، ونضيف أن عوامل تشكل الأمة العربية، مثل اللغة والتاريخ والرقعة الجغرافية المشتركة، تكونت قبل الإسلام، وتطورت معه، والأديان بعامّة رسالة للعالمين، كذلك المسيحية وغيرها عابرة للقوميات، وجرياً على ما جاء به ناجي علوش حول العروبة والإسلام يمكن القول أيضاً إن المسيحية أثرت تأثيراً عميقاً في الثقافة الغربية، مباشرة أو في الردة العلمانية أو الإلحادية عليها، ولكن لا يمكن القول إن المسيحية هي أحد عوامل تشكل القومية الألمانية أو الفرنسية أو غيرها، على الرغم من أن جماعة «العنصرية البيضاء» في الغرب يعدون المسيحية، إلى جانب العرق، من عوامل تشكل الأمم...

كذلك يشير ناجي علوش إلى أنه ليس من الممكن تجاوز دور الدين الإسلامي «في تحقيق نوع من التوحيد السياسي للعرب في مراحل تاريخية معينة، وخاصة بعد الفتوح مباشرة، وقبل أن تتطور الصراعات المذهبية، لتصبح من عوامل تفتيت الأمة، بعد أن كان الإسلام عاملاً، أو لنقل أحد المؤثرات، في تحقيق الوحدة السياسية للأمة» (ص: 38-39). وهذا الكلام مهمٌ، وجريءٌ، عندما يأتي من قومي يساري يساجل ماركسيين لا يؤمنون بالحل القومي.

نكرر هنا أن تحقق الوحدة السياسية أو عدم تحققها ليس من عوامل تكون الأمة، فالوحدة السياسية تمثل التعبير القانوني للأمة، ولكن انحلالها، بفعل تأثيرات التنازع الداخلي (كما في حالة الصراعات المذهبية ونزعات الانفصال) أو الاحتلال الخارجي (كما في حالة سايكس-بيكو)، لا يعني أن الأمة تتوقف عن الوجود، فوحدة ألمانيا السياسية عام 1870 لا تعني أن الأمة الألمانية خلقت من العدم في ذلك العام، وتفكك ألمانيا إلى دولتين وفقدان أجزاء كبيرة من أرضها بعد الحرب العالمية الثانية لا يعني أن الأمة الألمانية توقفت عن الوجود. كذلك فإن الوحدة، بحسب ناجي علوش، ضرورية لبناء السوق، ولتطوير المعالم الثقافية والحضارية للحياة العربية، فهي رافعة لتعزيز وجود الأمة وحضورها وارتقائها، ولكن الوحدة ذاتها تستند إلى حقيقة الوجود القومي وإلا فإنها تتحول إلى شكل إمبراطوري للحكم يعوزه الاستقرار لأن يتضمن سيطرة أمة على أخرى.

جدلية الوحدة والتجزئة، ولماذا تحقق بعض الأمم وحدتها السياسية وتتأخر أو تعجز أممٌ أخرى عن تحقيقها، كان من المواضيع التي احتلت صفحات عديدة في "حوار حول الأمة والقومية والوحدة"، ولن نتوسع في هذا الجانب هنا، لا سيما أن ناجي علوش بلور أطروحته في هذا السياق بصورة أكثر تفصيلاً وعمقاً في كتابه "الوحدة العربية:



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

المشكلات والعوائق“ (1991) الذي راجعناه في عددي مجلة ”طلقة تنوير“ رقم 20 ورقم 21، تحت عنوان ”المقولة الوحودية عند ناجي علوش“ (6).

لكن ما يتوجب التركيز عليه في سياق مناقشة جدلية الوحدة والتجزئة في ”حوار حول الأمة والقومية والوحدة“ هو أن ناجي علوش ربطها بتفاعل العاملين القومي والطبقي من زاوية الطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة في قيامها أو منع قيامها في السياق التاريخي عموماً، وفي السياق العربي خصوصاً، ليخلص كقومي يساري إلى أن عدم وجود قاطرة برجوازية صناعية تنهض بالمشروع الوحودي في الوطن العربي في نهاية القرن العشرين أسوة بالبرجوازيات الصناعية الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر جعل من الوحدة العربية مشروع الطبقات الشعبية العربية التي آلت إليها مسؤولية النهوض بهذا المشروع التاريخي الذي يمثل المعبر الوحيد لتحقيق المشروع النهضوي العربي.

المشروع الوحودي على هذا الصعيد، من وجهة نظر ناجي علوش، هو في الآن عينه صراع طبقي ضد قوى التجزئة المتمثلة بالإمبريالية والصهيونية وأدواتها الرجعية في المجتمع العربي، فمن يقف في وجه الوحدة هو العدو القومي بصفته السياسية، وهو ذاته العدو الطبقي بصفته الاقتصادية-الاجتماعية، وأصحاب المصلحة الأساسيون في الحفاظ على منظومة التجزئة وتعميقها وإعادة إنتاجها هم ذاتهم الأعداء الطبقيين، والتفتت، والمزيد من التفتت، هو الذي يؤسس للمزيد من الارتباط الاقتصادي والسياسي بالمراكز الإمبريالية، أي أن التفتت هو رافعة التبعية. وما ينطبق على الوطن العربي على هذا الصعيد ينطبق أيضاً على الكثير من حركات التحرر القومي في جنوب الكرة الأرضية وشرقها. فبعيداً عن اعتبار المشروع القومي ”تنظيراً فوق الطبقات“، كما يرى بعض الماركسيين، فإنه الشكل الذي يتخذه الصراع الطبقي في ظروف مواجهة الإمبريالية.

كتاب ”حوار حول الأمة والقومية والوحدة“ يحفل بعشرات الأفكار والملاحظات النفاذة التي لا يمكن أن تتم تغطيتها في مقالة واحدة، ولا تزعم هذه المقالة ذلك، ومن تلك الملاحظات مثلاً نقد المؤرخين المحدثين العرب لأنهم اعتمدوا بشكلٍ شبه حصري على المراجع الأجنبية، من دون العودة للمراجع العربية التراثية الأساسية التي يسند ناجي علوش الكثير من أفكاره بها، ولكن لنتنبه إلى أين يصل المنظر القومي اليساري، الذي يقف على أرضية التراث العربي بثبات ليستكشف الأفق التقدمي للأمة العربية، منحازاً بالضرورة للطبقات الشعبية العربية، ورافضاً التبعية العمياء للتقليد اليساري الأوروبي: ”لأن المؤرخين المحدثين العرب اعتمدوا على المراجع الأجنبية، ولم يعتمدوا على المراجع العربية الأساسية في معظم الأحيان، ما زال يُدرس حتى الآن الأسلوب الآسيوي في الإنتاج (نمط الإنتاج الآسيوي)، ولا يُدرس الأسلوب العربي في الإنتاج أو الأسلوب العربي الإسلامي في الإنتاج، وتأثيره في الأسلوب الآسيوي. مع أنني أعتقد أن هذا الأسلوب العربي الإسلامي أسلوب متميز له خصائصه وله سماته، وأن هذا الأسلوب من أكثر الأساليب تطوراً، إذا أردنا أن ندرس الأساليب الآسيوية في الإنتاج“ (ص. 32)، ثم يضيف: ”لو عدنا إلى التراث العربي الآن، لوجدنا عدداً كبيراً من الكتب عن الحسبة والخراج وغير ذلك من الشؤون الاقتصادية والسياسية. ولكن المثقفين العرب لا يقرؤونها حالياً مع الأسف الشديد“ (ص. 69).

ملاحظة أخرى نسوقها برسم من يتبنون المشروع ”الوطني الديموقراطي“ في كل قطر عربي على حدة: ”الآن نأتي إلى العمل ”القطري“. إن العمل القطري يتنافى مع الحل الصحيح للمسألة القومية. ونحن عندما نفكر أن هناك حلاً تونسياً، وحلاً جزائرياً إلخ.. فهذا يتنافى مع وحدة الصراع ضد الإمبريالية، ويتنافى مع إيجاد الشروط الضرورية لنمو اقتصادي عربي سليم ينهي التخلف وينجز الاستقلال والتطور الحقيقي“ (ص: 55-56).

الهوامش:

- (1) للمزيد حول ”حركة التحرير الشعبية العربية“، يمكن الذهاب لمادة ”حركة التحرير الشعبية العربية (1978-1992): إضاءة سريعة“ في العدد 63 من مجلة ”طلقة تنوير“ (ص 19-14) على الرابط التالي:
<http://www.freearabvoice.org/?p=6051>
- (2) يمكن إيجاد هذه الكتب على الرابط التالي:
<http://www.freearabvoice.org/?cat=14>
- (3) انظر كتاب ”أسس الفكر القومي العربي“ (2013)، د. إبراهيم علوش.
- (4) انظر كتاب ”الوطن العربي: الجغرافيا الطبيعية والبشرية“ (1986)، ناجي علوش، ويمكن إيجاده على الرابط التالي:
<http://www.freearabvoice.org/?p=4811>
- (5) انظر مادة ”قراءة في كتاب الماركسية والمسألة القومية لستالين“ في العدد 23 من مجلة ”طلقة تنوير“ (ص 5) على الرابط التالي:
<http://www.freearabvoice.org/?p=4418>
- (6) انظر مادة ”المقولة الوحودية عند ناجي علوش“ في عددي مجلة ”طلقة تنوير“ رقم 20 و 21 على الرابطين التاليين:
<http://www.freearabvoice.org/?p=4330>
<http://www.freearabvoice.org/?p=4369>



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

الصفحة الثقافية: محطات مضيئة من تاريخ الأردن المقاوم طالب جميل



مثل غيره من أبناء الأمة العربية التي مزقتها التشرذم والتفرقة، عانى الشعب الأردني من ويلات الاستعمار وإجرام ما يسمى بالخلافة العثمانية التي أذاقت هذه الأمة كافة أشكال الذل والظلم والقسوة، ودفع كغيره من العرب ضريبة التقسيم والتفتيت والتمزق بموجب المعاهدات التي فرضتها القوى الاستعمارية التي كانت تسيطر على المنطقة العربية. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي مر بها الأردنيون خلال القرن الماضي، إلا أنهم كانوا دائماً في مقدمة المدافعين عن عروبة عن هذه الأرض والمدافعين لحمايتها من الغطسة والهيمنة والاحتلال، وتضحياتهم ودماء شهدائهم خير دليل على ذلك.

ففي محطات كثيرة من تاريخ هذه الأمة كان الأردنيون شريكاً أساسياً مع أخوتهم من العرب في التصدي للقوى الباغية والمعتدية، ففي العام 1910 اندلعت في الكرك أول (ثورة عربية) ضد الاستعمار العثماني، وقد عرفت بـ (الهيئة) حيث قرر أهالي الكرك، وبالتزامن مع ثورة جبل العرب في السويداء، الاحتجاج على السياسات العثمانية فيما يخص الضرائب والتجنيد الإجباري لحرب البلقان، فواجههم الأتراك بالحديد والنار والاعتقالات، فاجتمع شيوخ الكرك من كل المناطق وأطلقوا ثورة عارمة، وتمكن الأهالي من إبادة الوحدات العثمانية في أطراف المدينة، قبل أن تعم الثورة في كل مكان وتحاصر الحامية التركية في قلعة الكرك، وتدمر محطات سكك الحديد وأعمدة التلغراف على الطريق الصحراوي، وتقتل المئات من العسكر التركي، وتستولي على السرايا ودار البلدية ودار التلغراف وإدارة حصر التبغ، وكان رد الأتراك العثمانيين شرساً حيث قاموا بحملة عسكرية غير مسبوقة على الكرك انتهت بقصف المدينة بالمدافع وإحراقها وبمذابح جماعية واعتقالات شملت حتى نساء الكرك، واستشهد الكثير من قادة الثورة إعداماً وقتلاً في قلعتي الكرك ودمشق منهم (ساهر المعاينة، درويش الجعافرة، علي اللوانسة، منصور وخليل ذنبيات).

في مرحلة لاحقة حاول الصهاينة استيطان شرقي الأردن حيث أخذت موجات الهجرة بالتدفق على نحو متزايد في نهاية القرن التاسع عشر، وكان من بين المهاجرين من اختار التوجه نحو وادي (نهر الزرقاء)، أو ما يعرف حالياً بـ (سيل الزرقاء)، لاستيطانه، وهو الذي يرد ذكره في التوراة باسم نهر يابوك (Yabok)، فقاموا بتأسيس مستوطنتين زراعتين هناك، كما تأسست مستوطنة زراعية يهودية باسم (كفار أهودا) بالقرب من السلط بجانب قرية كفر هودا، إلا أن أهالي جرش تصدوا لهذا المشروع بشكل بطولي حيث هاجموا مستوطنتي نهر الزرقاء وقاموا باستئصالهما، وتبع ذلك مغادرة أهالي مستوطنة (كفار أهودا) خوفاً من مصير مشابه، ما أدى إلى وأد المشروع وأصبحت منطقة شرق الأردن خالية تماماً من أي استيطان يهودي.

في العام 1920 قام الزعماء الوطنيون في شرق الأردن بعقد مؤتمر في قرية (قم) في شمال الأردن في منزل (ناجي العزام) وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقاموا بهجوم على الحامية البريطانية في بلدة (سمخ)، وعلى المستعمرات اليهودية المجاورة لها، قاده الشيخ (كايد مفلح العبيدات) الذي قدم نفسه كأول شهيد أردني على ثرى فلسطين في معركة تلال الثعالب في العام ذاته، حيث قام بقيادة القوات العربية التي بدأت بالتشكل لمقاومة تهويد فلسطين، وقاد بنفسه الهجوم الأول باتجاه الأراضي المحتلة، حيث استشهد بعد قتالٍ عنيفٍ ضد القوات البريطانية التي كانت تتفوق عليهم بالعدد والعدة.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

وفي ثورة البراق عام 1929 وصل إلى فلسطين، وبخاصة إلى القدس، العديد من المتطوعين الأردنيين المسلحين ليقاتلوا إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين واستشهد العديد منهم. كذلك الأمر في ثورة فلسطين الكبرى (1936-1939) كانت مشاركة المتطوعين العرب في فلسطين واسعة، ففي شهر آب من العام 1936 دخل القائد (فوزي القاوقجي) إلى فلسطين قادماً من العراق عن طريق سورية فالأردن على رأس مجموعة من المتطوعين من العراق وسورية والأردن تمركزوا في مثلث نابلس-جنين-طولكرم، وفي هذه الثورة قاتل عددٌ من شباب الأردن إلى جانب ثوار فلسطين كان في مقدمتهم المجاهدون (نعمان العطيّات، وعلي العبويني وأحمد النجاوي وعبد المجيد الساكت).

في حرب عام 1948 دخل المتطوعون الأردنيون إلى فلسطين للمشاركة في الدفاع عن القدس، ومجموعة من عشيرة الحويطات بقيادة (هارون بن جازي)، ومجموعة من عشائر الكرك بقيادة (فيصل بن شهوان وجمال المجالي)، ومجموعة من بني صخر بقيادة (محمد الفايز)، وانضموا جميعاً إلى قوات "جيش الجهاد المقدس" في منطقة القدس، وسرية منكو للمتطوعين الأردنيين بقيادة الضابط (بركات طراد) التي قام بتجهيزها وتمويلها (ابراهيم منكو) من ماله الخاص، وقد قاتلوا مع حامية مدينة القدس، ومن أبرز الشهداء من المتطوعين الأردنيين الشهيد (محمد الحمد الحنيطي) الذي كان ضابطاً في الجيش العربي الأردني شارك في الدفاع عن مدينة حيفا وأصبح قائداً لحاميتها واستشهد مع ثلاثة عشر شهيداً من حامية حيفا كانوا يرافقونه في قافلة تحمل السلاح والذخيرة، وقعت في كمين نصبه لها اليهود بين عكا وحيفا.

في العام 1955 ساهمت هبة الشعب الأردني في عدم اندفاع الأردن للانضمام إلى ما يسمى بـ (حلف بغداد) الذي حاول من خلاله الإنجليز والأمريكان صرف أنظار العرب عن خطر الكيان الصهيوني من خلال إقناع بعض الدول العربية والإسلامية أن العدو الحقيقي للعرب والمسلمين هو "الخطر الشيوعي" بقيادة الاتحاد السوفيتي، وليس الكيان الصهيوني المدعوم من الغرب، وخاصة من الولايات المتحدة وبريطانيا، واستطاع الشعب إجهاض فكرة انضمام الأردن إلى الحلف نتيجة المظاهرات العارمة التي عمت المحافظات الأردنية رفضاً لهذا التوجه، والتي سقط فيها عددٌ من الشهداء، ونتيجة الإضراب العام الذي استمر لمدة 5 أيام.

ولا يمكن الحديث عن المقاومة والاستبسال في الدفاع عن فلسطين من دون أن نذكر البطلين الشهيدين (فراس العجلوني وموفق السلطي)، وهما طياران عسكريان. فقد خاض فراس العجلوني أول معركة جوية ضد العدو الصهيوني في العام 1966 في معركة الخليل الجوية، حيث أسقط فراس وزملاؤه عدة طائرات من نوع ميراج الفرنسية، كما اشتبك سلاح الجو الأردني مع العدو الصهيوني في معركة استشهد على إثرها البطل الملازم (موفق السلطي)، حيث كان من أعز أصدقاء فراس ومن أفضل تلاميذه، ولم يشارك الشهيد فراس في المعركة ذاتها، وأقسم على ضريح الشهيد السلطي أن ينتقم له. وفي صبيحة الخامس من حزيران 1967، خرج فراس وزملاؤه لضرب أهداف في العمق الصهيوني من بينها مطار اللد، حيث كانت الطائرات الصهيونية منشغلة في ضرب مطارات سورية ومصر، وفي هذه الجولة دمر فراس وزملاؤه العديد من الطائرات الصهيونية وكثيراً من الأهداف العسكرية للعدو، وأثناء عودة الطائرات للتزود بالذخيرة والوقود حتى تستكمل مهمتها القتالية، ومع بدء تحليق طائرة فراس من على المدرج كان له العدو بالمرصاد فأصابوه في طائرته وهو بداخلها واستشهد على أثرها.

وتعتبر معركة الكرامة أهم انتصار أردني تحقق على العدو الصهيوني حيث سطر الأردنيون في هذه المعركة أسمى أنواع البطولة، وكانوا مع أخوتهم من أبناء المقاومة الفلسطينية في خندق واحدٍ فتقاسموا فرحة النصر بهزيمة العدو، وعند الحديث عن معركة الكرامة لا بد من الإشارة إلى شخصية الفريق (مشهور حديثاً الجازي) الذي ارتبط اسمه بهذه المعركة والذي كان قائداً لإحدى الفرق العسكرية خلال المعركة في العام 1968، ويحسب له موقفه في تلك المعركة عندما أصّر على قصف تجمعات الجيش الصهيوني حتى خرجت من المعركة، ولم يلتزم الجازي بوقف إطلاق النار مما مهد لتحقيق هذا الانتصار.

إن الحديث عن الأبطال والمقاومين والشهداء الأردنيين يطول، فهناك الكثير من قصص التضحية والبطولة يمكن التغني والافتخار بها، خاصة أن الأردنيين كانوا دائماً في طليعة من يدعون ويناصرون قضايا أمتنا العربية، لكن للأسف عبر العقود الماضية لم يتم الاحتفاء بهذه البطولات ولا تسليط الضوء عليها بشكل حقيقي، وكانت هنالك محاولات مستمرة ومقصودة لطمس الوجه المقاوم للأردن، ولم يتم إبراز بطولات



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

وتضحيات الأردنيين ومقاومتهم للاستعمار العثماني والبريطاني والصهيوني، بل كان يتم العكس من خلال محاولة فصله عن محيطه العربي وتعزيز هويته القُطرية والتنازل عن دماء الشهداء والأبطال الذين ضحوا بأرواحهم من أجل بلدهم وأمتهم، ولم يتم إبراز هذه البطولات في المناهج والكتب ولا تخليدها بأعمال فنية أو الاحتفاء بها بشكل يلهم الأجيال القادمة بالسير على نفس هذا الطريق والالتزام بهذا النهج، على العكس تماماً، تم تهميشهم وتهميش الصفحات المقاومة في سجل الأردنيين، وهي نتيجة طبيعية للالتزام بنهج وادي عربة.

قصيدة العدد: حتام تغفل/ جميل صدقي الزهاوي (قصيدة نظمها الشاعر أيام عبدالحميد الثاني عن ظلم العثمانيين)

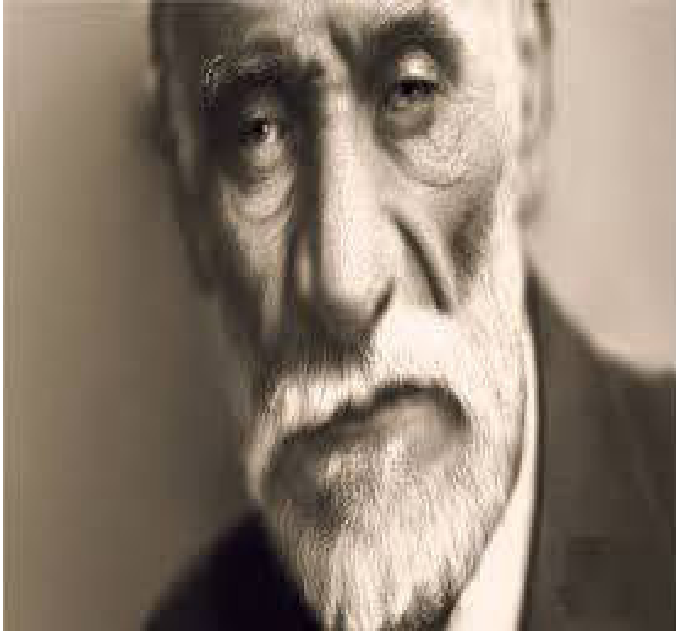
ألا فإنتبه للأمر حتام تغفل
أغث بلداً منها نشأت فقد عدت
قد استصرخت أم ربيت بحجرها
رعى الله ربعاً كان بالأمس عامراً
كأني بالأوطان تندب فتية
تقول أما من مسعدٍ لبلاده
أما من ظهير يعضد الحق عزمه
أما من طيبب ذي تجارب حاذق
وإن حصول الشيء رهن بفرصة
بنفسي أفدي كل حر سميدع
وما رايتي إلا غرارة فتية
تؤمل إصلاحاً وترجو سعادة
توالت عليها الحادثات فكلمها
تعلى بالأمال نفسك راجياً
وما هي إلا دولة همجية
فترفع بالإعزاز من كان جاهلاً
فمن كان فيها أولاً فهو آخر
وما فنة الإصلاح إلا كبارق
لهم أثر للجور في كل بلدة
إذا نزلوا أرضاً تفاقم خطبها
فطالت إلى سورية يد عسفهم
وكم نبغت فيها رجال أفاضل
وبغداد دار العلم قد أصبحت بهم
نحوّل عنها كل يوم رزية
وسل عنهم القطر اليماني إنه
بلاد بها الأموال من يد أهلها
وتلطمنا كف الإهانة منهم
شريف ينحى عن مواطن عزه
وجازة عبرى لقتل حليلها
إذا سكت الإنسان فالهم والأسى
ولجتم طريق العنف تستنهجونه
لقد عبث بالشعب أطماع ظالم
فيا ويح قوم فوضوا أمر أنفسهم
إلى ذي اختيار في الحكومة مطلق
وذي سلطة لا يرتضي رأي غيره
أيامر ظل الله في أرضه بما

أما علمتك الحال ما كنت تجهل
عليها عوادٍ للدمار تعجل
وإنك عنها غافل لست تسأل
بأهليه وهو اليوم قفر معطل
عليهم إذا ضام الزمان المعول
يناصرها فيما دهاها وينشل
فقد جعلت أركانه تنزلزل
يضمّد جرحاً دامياً كاد يقتل
إذا هي فانت فهو لا يتحصل
يرى أن لوث العار بالدم يغسل
تؤمل إصلاحاً ولا تتأمل
ألا باطل ما تترجى وتؤمل
ترحل عنها مشكل حل مشكل
سلاماً لها لو كان يجدى التعل
تسوس بما يقضي هواها وتعمل
وتخفّض بالإذلال من كان يعقل
ومن كان فيها آخراً فهو أول
يغرك بالقطر الذي ليس يهطل
يمثل من أطماعهم ما يمثل
كأنهم فيها البلاء الموكل
تحملها ما لم تكن تتحمل
فلما دهاها العسف عنها ترحلوا
يهددها داء من الجهل معضل
فتبقي دماراً ثم لا يتحول
يبوح بما يعرو البلاد وينزل
تنزع غصباً والنفوس تقتل
فنلثمنا من خشية ونقبل
وأخر حر بالحديد يكبل
ووالدة تبكي بنبيها وتعول
وإن هو لم يسكت فموت معجل
أما عن طريق العنف يا قوم معدل
يحمله من جوره ما يحمل
إلى ملك عن فعله ليس يسأل
إذا شاء لم يفعل وإن شاء يفعل
إذا قال قولاً فهو لا يتبدل
نهى الله عنه والكتاب المنزل



ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتل
تأجج فيها الغيظ لا تتمهل
فإن يد الأيام منهن أطول
وإن طريق الظلم للخسر موصل
حقوقاً لهم مغصوبة ثم تبخل
بإصلاحه في فرصة متكفل
تُهَيِّئْ إصلاحاً له أو تؤمل

فيفقر ذا مال وينفي مبرءاً
تمهل قليلاً لا تغظ أمة إذا
وأيدك إن طألت فلا تغترر بها
إليك فإن الظلم مرد فريقه
وكم تعد الأقوام أنك باذل
تقول إذا عم الفساد فإنني
أبعد خراب الملك وأذل أهله



تعود القصيدة إلى ما قبل مئة عام من الآن،
سطرها الشاعر جميل صدقي الزهاوي من
العراق، إبان الاحتلال العثماني الذي دام أربعة
قرون لم يوفر فيها المحتل أسباب الظلم
والجور والإهانة، والحقد الواضح على أمة
جارية لا يضاهاها علماء ورقياً وحضارة، فظنَّ
أن بعدائه حضارة تمتد آلاف السنين، قد تموت
الأمم، وهو لا شك وأهم.

اليوم، وإذ يتكرر المشهد، يحاول شذاذ الأفاق
من أمة الترك الاتون من ظلام التاريخ، إعادة
كتابة سطور الإجرام والتخلف، إنما هيهات،
فأني للحق أن يموت، وهنا - في سبيل الحق -
ترخص الأرواح.



العدد رقم (68) صدر في 1 آذار عام 2020 للميلاد

كاريكاتور العدد: أردوغان يتلقى درساً في الشمال السوري



انتهى العدد